



جامعة
المنصورة
كلية الآداب

—

”تمثال غير منشور من ”الشرت“
لإلهة الأمومة من الواحات البحرية
من العصر الحجري القديم الأعلى”

إعداد

الاستاذ الدكتور / رضا محمد سيد أحمد

أستاذ التاريخ القديم

عميد كلية الآداب - جامعة المنصورة

مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة

العدد الثالث و الخمسون - أغسطس ٢٠١٣

"تمثال غير منشور من "الشرت" لإلهة الأمومة من

الواحات البحرية من العصر الحجري القديم الأعلى"

أ.د/ رضا محمد سيد أحمد*

خلال الرحلة العلمية لقسم الجغرافيا لكلية الآداب - جامعة المنصورة في مارس عام ١٩٩٦م بالواحات البحرية^(١) (اللوحة الأولى) عثر أساتذة الجيومورفولوجيا* بالتعاون مع

* هذا البحث نشر باللغة الانجليزية بعنوان :

"Upper Paleolithic chert statue of the Mother Goddess From Baharia Oasis " in : Journal of The Faculty of Arts, Mansoura University, Supplement No. 39th Issue. Aug-2006.

وهذه الترجمة العربية له

* أستاذ التاريخ القديم، وعميد كلية الآداب - جامعة المنصورة.

(١) منخفض الواحات البحرية منخفض صغير بيضى الشكل، يبلغ أقصى طول له من الشمال إلى الجنوب ٩٤ كم وأقصى اتساع له لا يزيد على ٤٢ كم، ويتميز بإحاطته من جميع جهاته بحافات عالية شديدة الانحدار نحو قاعة، ويتميز كذلك بكثرة التلال الصغيرة، وبشكل عام يبلغ متوسط ارتفاع سطح منخفض البحرية ١٤٠م فوق مستوى سطح البحر وتقع قرية القصر عند أقل جهاته منسوباً ١١٣م بينما تقع قرية الحيز عند أعلى جهاته منسوباً ١٥٦م، وتعد عين "البشمو" أهم العيون الطبيعية بمنخفض الواحات البحرية والتي مازالت تتدفق حتى الوقت الحاضر. محمد صبرى محسوب، جغرافية مصر الطبيعية (الجوانب الجيومورفولوجية)، ط١، القاهرة، ١٩٩٨، ٢١٢ وما بعدها.

ولمزيد من التفاصيل عن هذا المنخفض جغرافياً وطبوغرافياً وجيولوجياً:

See, J. Ball and H. J. L. Beadnell, Baharia Oasis, Its Topography and Geology, Cairo, 1904؛

محمد صبرى محسوب، منخفض الواحات البحرية (دراسة فى الجغرافيا الإقليمية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٧٥.

بعض أساتذة الجيولوجيا من كلية العلوم – جامعة المنصورة المرافقون للرحلة العلمية، على مجموعة من الأعمال المصنوعة من الطران والشرت^(١)، فى مأوى صخرى بجبل

وجدير بالذكر أن المصريين القدماء قد أطلقوا على هذه الواحة فى كتاباتهم أسماء (dsds)؛ (W3ht mħtt dsds)، وكثيراً ما أشار إليها الكتاب العرب باسم "واحة البهنسا"؛ وقد برز دورها واهتم بها المصريون القدماء اهتماماً كبيراً فى عصر الأسرة ٢٦، فتم حفر الآبار = = وزراعة الأراضى وإنشاء الحاميات العسكرية وعثر على أربع مقابر ترجع لهذا العصر كان أصحابها من الذين يشغلون مكانة عليا بالواحة.

A. Fakhry, "Baḥrija Oase" in: LÄ I, 1975, 601ff ؛

سليم حسن، مصر القديمة، ج١٢، القاهرة، ٢٠٠٠، ٤٣٠ وما بعدها.

ولمزيد من التفاصيل عن الواحات البحرية فى العصر الفرعونى وبخاصة فى الأسرة ٢٦.

See, A. Fakhry, Baḥrija Oasis, 2 Vols, Cairo, 1942, 1950.

* الجيومورفولجيا: علم تاريخ التضاريس وأصل النشأة.

(٢) الطران يكثر وجوده فى بعض المناطق بمصر فى صور عقيدات وطبقات فى صخور الحجر الجيرى، ظاهره فاتح وباطنه قاتم وهو حجر صلب دقيق الحبيبات ويسهل تشكيله على الرغم من صلابته، ويتصف بسهولة شطف حوافه شطفاً حاداً قاطعاً، وسهولة فصل شظايا سليمة منه، فضلاً عن سهولة الحصول عليه منتشراً على سطح الأرض فى الصحراء على هيئة زلط كبير أو صغير فى أغلب الأحوال، بعد أن يكون قد انفصل من الصخور الجيرية نتيجة للتأثيرات الجوية، ويختلف لون باطن الطران بين الرمادى والأسود والأسمر والأصفر الفاتح، ويبلغ طول عقده الكبير نحو ٤٥سم.

عبد العزيز صالح، حضارة مصر القديمة وآثارها، ج١، القاهرة، ١٩٦٢، ٥٠ وما بعدها.

والطران هو أول حجر استعمل فى مصر وفى بلاد كثيرة أخرى، ومنه صنع إنسان العصر الحجري أسلحته وأدواته وقل استخدامه بعد معرفة النحاس ولكن لم يبطل استعماله تماماً وظل مستخدماً لفترة طويلة فى أغراض معينة كان بعضها طقسياً محضاً.

أما "الشرت" فهو نوع غير نقى من الصوان ذو لون أشهب فاتح أو بنى فاتح، وعلى الرغم من أن السليكا تؤلف الجانب الأكبر منه، فإنه إذا كسر كانت شجاته مسطحة تقريباً بدلاً من أن تكون صدفية الشكل كما فى الصوان، ويوجد الشرت – كالصوان – فى الحجر الجيرى وكان

تمثال غير منشور من "الشرت" لإلهة الأمومة من الواحات أ.د. رضا محمد سيد أحمد

الكريستال بالصحراء البيضاء أقصى جنوب الواحات البحرية بالقرب من الطريق المؤدى إلى واحة الفرافرة (اللوحة الثانية)، وضحت آثار الصناعة المقصودة في هذه الأعمال^(١) والتي تتضمن: (١) أربعة أقراص بحواف سميكة بارزة والوجه والظهر محدب يلتف حوله حز غائر، ربما استخدمها أصحابها كمراحي لجرش الحبوب البرية بعد أن فطنوا إلى قيمتها الغذائية وعرفوا طريقة الاستفادة منها، أو استخدموها في بعض عمليات الدق أيضا، (٢) أربعة نصال منها اثنين بهيئة شبه بيضاوية والثالث بهيئة شبه مخروطية والرابع بهيئة مثلثة الشكل، والنصال جميعها ذات سطحين وبحواف حادة قاطعة ومتعرجة في ثلاث منها، وربما استخدمت في تقطيع لحوم

يستخدم بدلاً منه في بعض الأحيان، ويمتد استخدامه مع حجر الصوان في مصر في صناعة الأسلحة والأدوات إلى ما يقرب من ٥٠٠٠٠٠٠٠ ق.م.

- لوكاس، المواد والصناعات عند قدماء المصريين، ترجمة: زكى اسكندر، محمد زكريا غنيم، ط١، القاهرة، ١٩٩١، ٦٦٢؛

= B. G. Aston, J. A. Harrel and Ian Shaw, "Stone" in: Ancient Egyptian Materials and Technology, Ed. By. P. T. Nicholson and Ian Shaw, Cambridge, 2000, 28f.

ولمزيد من التفاصيل عن طبيعة هذا الحجر وأيضاً استخداماته المختلفة في عصور ما قبل التاريخ:

See, W. Shepherd, Flint, London, 1972, 17ff, 145ff.

(٣) تعرض هذه الأعمال في فاترينات خاصة بالقسم كمتحف تعليمي للطلاب، إلى جانب مئات أخرى من القطع الحجرية من عصور قديمة مختلفة أحضرها أعضاء هيئة التدريس بالقسم في هذه الرحلة وما تبعها من رحلات علمية أخرى في الأعوام التالية، بالتعاون مع بعض أساتذة الجيولوجيا بكلية العلوم - جامعة المنصورة المرافقين لهذه الرحلات، وهذه القطع - والتي يشوب عرضها إهمال واضح وقصور شديد - كانت من أحجار متنوعة كالبازلت والديوريت والصوان والحجر الرملى وقطع من الخشب المتحجر، ومعظمها لا يزال بحالته الغفلة الطبيعية، وقليل منها ظهر بفعل الرياح والعوامل الجوية بأشكال تشبه هيئة الحيوانات أو الطيور أو المراكب.

الحيوانات وسلخ جلدها واستخراج ما يستطيع أصحابها أكله من جذور النباتات^(*)، (٣) ثلاث قطع بهيئة شبه بيضاوية، بحواف بارزة سميكة ووسط كل منها من الوجه والظهر محدب حوله حز غائر، وحفر على سطوحها دوائر خشنة صغيرة يبرز من بعضها نتوء صغير فى الوسط، ووجد بها بقايا ألوان ربما كانت من بعض الأحجار الهشة الملونة التى صحتت فيها ويصعب تحديد استخدامهم لها على وجه الدقة حتى الآن، (٤) أداة ربما لحفر الرمال وإزالتها، سمكها رقيق والوجه والظهر فيها أملس، وهيئتها شبه بيضاوية، (٥) بلطة كمنثرية الشكل، بأحد جوانبها نتوء بارز عليه زخرفة شبه هندسية، ويواجهه فى الجانب الآخر دائرة مقببة (محدبة)، (٦) رأس فأس Hand axe بسطح أملس وصناعتها راقية، وشكلت بقاعدة مناسبة لقبضة اليد وقمتها وجوانبها تسمح لصاحبها استخدامها فى دفاعه عن نفسه وفى مهاجمته لحيوان الصيد. (اللوحة الثالثة).

وتضمنت هذه المجموعة من الأعمال أيضاً تمثال من الشرت صناعته بدائية خشنة لفت انتباه الباحث عند مشاهدته، لتشابهه ببعض التماثيل البدائية التى وجدت فى أوربا من العصر الحجرى القديم الأعلى، وأطلق عليها العلماء اسم تماثيل "الإلهة الأم" أو "إلهة الأمومة".

ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذا التمثال وإلقاء مزيد من الضوء عليه كأول نشر علمى موثق له، وذلك على النحو التالى:

(*) جدير بالذكر أن المتحف الجيولوجى بكلية العلوم – جامعة المنصورة، يفتنى مجموعة كبيرة من النصال المصنوعة من الطران من العصر الحجرى القديم الأعلى، عثر عليها بجبل النبطية بالصحراء الشرقية، وتشبه تماماً هذه النصال.

أولاً: الدراسة الوصفية

١- مقاييس التمثال:

- * الارتفاع: ٨.٤سم
- * محيط قطر الجزء الأسفل من الجسم بالعجز: ١٨.٢سم.
- * أقصى طول للجزء البيضاوى المنتفخ (الذى يمثل البطن) من جهة الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر: ٥سم.
- * أقصى اتساع للجزء البيضاوى المنتفخ من أسفل إلى أعلى التمثال: ٣سم.
- * ارتفاع الرقبة والرأس معاً: ٣.٧سم.
- * أقصى طول للرأس: ١.٥سم.
- * أقصى عرض للرأس: ١.٤سم.
- * محيط قطر الرقبة: ٩.٤سم.

٢- حالة التمثال: فيما عدا قشط خفيف أعلى الرأس وكذلك فى وسط العجز، فالتمثال بحالة جيدة من الحفظ.

٣- الحالة الفنية للتمثال:

يتصف هذا التمثال بالمبالغة فى إبراز مظاهر الخصوبة، وذلك بتضخيم الجزء الأسفل من الجسم والتحوير والتجريد فى الجزء الأعلى منه، فقد أبرز الفنان العجز بشكل كبير ويتضح ذلك جلياً إذا نظرنا إلى التمثال من الجانب، وأظهر أيضاً بوضوح إمتلاء البطن وإنتفاخها والتعبير عن ذلك بحفر غائر لإطار بيضاوى وسطه مقبب (محدب) قليلاً ربما تعبيراً عن الحمل.

أما الجزء الأعلى من الجسم فقد بالغ الفنان في تجريد عناصره وبخاصة ملامح الوجه والرأس والتي أظهرها كرأس أحد الطيور الجارحة، وإن أبرز على إستحياء وبطريقة خشنة ملامح العين والأنف والأذن اليسرى، وترتدى السيدة قلادة حول العنق عبر عنها الفنان بحز بارز يلتف من أمام على الصدر، والرأس إذا نظرنا إليها من الجانب تميل قليلاً إلى الأمام.

وقد أهمل الفنان تمثيل الأطراف كالذراعين والساقين وكذا الثديين كما هو الحال في معظم التماثيل التي ظهرت في أوروبا في العصر الحجري القديم الأعلى^(١).

والتمثال يميل لونه إلى البني الفاتح، وإن كان لا يزال على بعض أجزاءه بقايا للطبقة الجيرية وبخاصة الرقبة والرأس والشكل البيضاوى الذى يمثل البطن بكامله فيما عدا الجزء المقرب (المحذب) فى وسطه وأيضاً الإطار المستدير الغائر حول العجز.

والتمثال بشكل عام صناعته بدائية خشنة، وإن كان يحسب للفنان فى هذه العصور البعيدة قدرته على التعامل مع هذا الحجر الصلب وتشكيله، واهتمامه بالتعبير عن إبراز فكرة الأمومة ومظاهر الخصوبة أكثر من اهتمامه بالتفاصيل الدقيقة كهدف اسمى صنع من أجله هذا التمثال. (اللوحة الرابعة).

ثانياً: الدراسة التحليلية

يمثل بروز العجز أبرز مواضع الخصوبة التى تأكدت فى هذا التمثال، شأنه فى ذلك شأن بعض التماثيل التى وجدت فى أوروبا فى العصر الحجري القديم الأعلى،

(٤) أشرف زكريا، تماثيل ورموز الأمومة فى مصر وبلاد الشرق الأدنى القديم فى عصور ما قبل التاريخ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ١٣.

تمثال غير منشور من "الشرت" لإلهة الأمومة من الواحات أ.د. رضا محمد سيد أحمد

وقد رأى العلماء فى ذلك أنه ربما نوع من الإثارة الجنسية^(١)، أو أنه كدليل على الإرتباط بالأرض والإرتباط بطقوس الخصوبة السحرية^(٢)، بينما يعبر إمتلاء البطن بالتمثال عن إحتمال أن المرأة فى حالة الحمل^(٣).

هذا ويلاحظ أن الفنان قد أهمل فى تمثيل ملامح الوجه والرأس فى هذا التمثال، مثلما هو الحال فى بعض التماثيل التى وجدت فى أوربا من العصر الحجري القديم الأعلى أيضاً، وربما نشأ ذلك من الخوف السحري حيث لم يفرق الفنان بين الواقع والصورة، ولذا ركز على مناطق الخصوبة فقط بالتمثال^(٤)، أو ربما أن ذلك يمثل إنكاراً للصفة الإنسانية لصالح القوة السحرية^(٥)، باعتبار أن الرأس مجرد ملحق للجذع المؤكد عليه^(٦)، وفيما يتعلق بميل الرأس لأسفل قليلاً فى هذا التمثال وذلك على النحو الذى ظهرت به تماثيل فى أوربا فى العصر الحجري القديم الأعلى فى

(٥) Wipf, "Phänomene Des Göttlichen in Urgeschichtlichen Zeit" in: JPR II, 1988, 35.

(٦) E. Neumann, The Great Mother, New York, 1955, 97f.

وعن إطلاق اسم "Steatopygous" على التماثيل بارزه العجز، وربطها بمظهر بعض الأجناس الأورجناسية والهوتنتوب فى أفريقيا.

انظر: أشرف زكريا، المرجع السابق، ١٥ هامش ٦٩.

وعن اعتبار بروز العجز رمزاً للصحة والجمال كما هو الحال عند الهوتنتوب.

See, N. K. Sandars, Prehistoric Art in Europe, Baltimore, 1968, 15.

G. Clark, World, Prehistory, An Outline, Cambridge, 1962, 82. (٧)

G. Levi, The Gate of Horn, New York, 1963, 58. (٨)

H. Delporte, L'Homme et Son Image, Paris, 1989, 156. (٩)

E. Neumann, Op. Cit, 96 ؛ L. Woolly – J. Hawkes ؛ History of Mankind, Vol I, London, 1963, 199. (١٠)

جريمالدى وكوستنكى وكيوتسا وفيلندورف، فربما يرجع سبب ذلك إلى التركيز على مركز الجسد والميل نحو الأرض^(١)، أو إنحناءً على طفل غير مرئى^(٢).

أما عن إهمال الفنان فى هذه التماثيل لتمثيل الأطراف كالذراعين والساقين، فربما يعود إلى أنها سهلة الكسر^(٣)، أو ربما لاعتقاد أهل العصور السحيقة فى عدم تمثيلها ما يمنع التمثال من الهروب من خدمة صاحبه^(٤)، أو ربما فى عدم تمثيلها نفى صفة الحركة عند الإلهة ودليلاً على إرتباطها بالأرض^(٥)، أو ربما رغبة من الفنان فى الإكتفاء والتلخيص والتركيز على مواضع الخصوبة ودون الإهتمام بعناصر الجسم الأخرى^(٦). (اللوحة الخامسة)

هذا وربما كان صغر حجم هذا التمثال (ارتفاعه ٨.٤سم)، كتماثيل الإلهة الأم التى وجدت فى أوربا من العصر الحجري القديم الأعلى وتراوح إرتفاعها ما بين (٤-٢٢سم)^(٧)، ما يجعل له انطباع التميمة وأنه شكل ليمسك ويحس باليد وليس بالعين^(٨)، وربما تأثر سطح التمثال الخارجى وفقد بعض من لونه الأصفر فى بعض أجزائه لهذا السبب.

ثالثاً: تأريخ التمثال

- E. Neumann, Op. cit, 97. (١١)
- G. Levi, Op. Cit, 57. (١٢)
- (١٣) أنور شكرى، تماثيل الإنسان فى فجر تاريخ مصر القديم، القاهرة، ١٩٥١، ٦.
- H. Kees, Totenglauben und Jenseitsvorstellungen der Alten Ägypter, Leipzig, 1926, 43. (١٤)
- E. Neumann, Op. cit, 97. (١٥)
- (١٦) أشرف زكريا، المرجع السابق، ٤٥.
- J. Mariner, The Gods of Prehistoric Man, London, 1960, 109. (١٧)
- S. Giedion, The Eternal Present, Washington, 1957, 436. (١٨)

يرجح الباحث تأريخ هذا التمثال بالعصر الحجري القديم الأعلى^(١)، معتمداً على القرائن التالية:

١- أن أساتذة الجيئورفولجيا قد ذكروا بأن ملامح هذا المأوى الصخرى بجبل الكريستال بالصحراء البيضاء بجنوب الواحات البحرية، والذي وجد به هذا التمثال قد تبلورت صورته الجيئورفولجية خلال العصر الحجري القديم الأعلى، والذي شهدت مصر خلاله تغيرات مناخية إرتبطت بها عمليات التشكيل الخارجية، وقد أكد أساتذة الجيولوجيا بكلية العلوم - جامعة المنصورة المراقبين للرحلة العلمية

(١٩) العصر الحجري القديم الأعلى هو أحدث فترات العصر الحجري القديم، وقد ظهر خلاله صناعات حجرية متخصصة وانتشرت فيه صناعات الآلات العظمية وكذا العثور فيه على الموامد والمقابر، ووصل الفن البدائي خلاله إلى ذروته، وإزداد الجفاف فيه وقل المطر وبرزت خلاله الصبغة المحلية للحضارة المصرية.

مصطفى عامر، حضارات عصور ما قبل التاريخ، مقال فى: مجلد تاريخ الحضارة المصرية، العصر الفرعونى: المجلد الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ٤٢ وما بعدها؛ عبد الفتاح محمد وهيبه، الجغرافيا التاريخية بين النظرية والتطبيق، بيروت، ١٩٨٠، ٩٩ وما بعدها. وهذا العصر تراوحت النظريات فى تعيين بدايته بما بين ١١.٠٠٠ ق.م وبين ١٥.٠٠٠ ق.م، وكان إنسان هذا العصر هو الإنسان العاقل (Homo Sapiens) جد الإنسان الحالى، وظهرت فى بقايا هياكله المصرية المتأخرة التى عثر عليها فى منطقة فنا وكوم إىبو وجوه شبه جنسية قريبة من خصائص الهياكل المصرية التى تخلفت من عصر ما قبل الأسرات.

عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ٦٨ هامش ٤٩.

ولمزيد من التفاصيل عن طبيعة هذا العصر وطول مدته وأقسامه والمصطلحات المستخدمة عنه فى مختلف الأقاليم، وأهم تكويناته التى تغطى مصر:-

انظر: أندروس. جودى، التغيرات البيئية (جغرافية الزمن الرابع)، ترجمة: محمود محمد عاشور، مراجعة: نبيل سيد إىبابى، القاهرة، ١٩٩٦، ٣٣ وما بعدها؛ وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى (فريق من الباحثين)، الزراعة المصرية القديمة، القاهرة، ٢٠٠٤، ٣٦ وما بعدها.

بعد تحليل عينات من صخور هذا المأوى الصخري بمعمل أبحاث الصخور والمعادن بالكلية على وجود حفريات بها من تلك التي تنتمي للعصر الحجري القديم الأعلى.

٢- أن الأعمال التي وجدت بالمأوى الصخري نفسه مع هذا التمثال ووضحت فيها آثار الصناعة المقصودة، قد ظهر لها ما يشبهها ضمن مخلفات العصر الحجري القديم الأعلى في منطقة الواحة الخارجة وما حولها، كالأقراص التي ربما استخدمها أصحابها كمراحي لجرش الحبوب البرية آنذاك، والنصال المخروطية أو البيضوية أو على شكل المثلث، وأيضاً Hand-axe التي كانت بقاعدة ملساء مناسبة لقبضة اليد مثل Hand-axe التي وجدت بهذه الأعمال بالواحات البحرية^(١).

٣- أن الواحات البحرية ومعها مناطق أخرى كثيرة بالصحراء الغربية كانت عامرة بالحياة والسكان في هذه العصور البعيدة قبل أن تطل عليهم موجات الجفاف في أواخر العصر الحجري القديم الأعلى ويتجهوا إلى ضفاف النيل في أوائل العصر الحجري الحديث، إلتماساً لمائها ونباتها وحيواناتها^(٢)، ويغلب على الظن أن

(٢٠) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ٦٩ وما بعدها؛

C. Aldred, Egypt to the end of the old kingdom, London, 1982, 15f, fig. 1.

(٢١) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ٨٢.

جدير بالذكر أنه عثر في إحدى واحات الواحات البحرية وهي الحيز إلى الجنوب على مجارث حجرية ورؤوس سهام وبعض الأدوات الرفيعة ومقاشط ومثاقب وأزاميل وأسلحة مسننة، وبعض الأدوات الأخرى من فترات سحيقة من عصر ما قبل التاريخ كدليل واضح على أن = = هذه الواحة كانت مأهولة بالسكان آنذاك والذين يعيشون بجوار البحيرات المائية المتخلفة عن الأمطار.

انظر: وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي (فريق من الباحثين)، المرجع السابق، ٤٥٣.

مجتمعات هذه المناطق قد إعتمدت فى العصر الحجري القديم الأعلى على الترحال: الصيد والجمع مثلما هو الحال فى المجتمعات التى وجدت بها التماثيل التجريدية للإلهة الأم فى أوربا فى العصر نفسه وإرتبطت حياتها أيضاً بالترحال: الصيد والجمع، ويبدو أن مثل هذه التماثيل قد ظهرت فى أماكن متفرقة من العالم القديم منذ العصر الحجري القديم الأعلى، وإرتبطت بعبادة إلهة عالمية أطلق عليها العلماء اسم الإلهة الأم، وإنتشرت فى ربوع العالم القديم الذى لم تكن هناك حدود أو فواصل تمنع من إنتقال عبادتها من مكان لآخر وتوظيف أهل كل مكان لها وفق ما يناسب ظروفهم البيئية والمعيشية والدينية.

٤- هذا التمثال يشبه مجموعة من التماثيل الحجرية التجريدية التى وجدت فى أوربا من العصر الحجري القديم الأعلى^(١)، بعضها لا يمكن اعتبارها تماثيل أنثى إلا إذا نظرنا إليها من الجانب، حيث ركز الفنان على بروز العجز فقط، وقد عثر فى "بيترزفيلز" وحدها على حوالى ١٢ تمثال من هذا النوع الذى يتصف بالتحوير الشديد لجسم الأنثى^(٢)، والبعض الآخر يجمع بين صفة بروز العجز وإمتلاء الفخذين والبطن^(٣)، وهناك نوع ثالث وجد فى أوربا أيضاً فى العصر الحجري القديم الأعلى، جمعت نماذجها بين هيئة رقبة ورأس الطائر وعجز بارز^(٤).

(٢٢) جدير بالذكر أن هذا النمط من التماثيل التجريدية والذى يشبه تماثيل الواحات البحرية، كانت له الغلبة فى أوربا فى العصر الحجري القديم الأعلى.
انظر: أشرف زكريا، المرجع السابق، ٣١.

A. Marshack, The Roots of Civilization, London, 1991, 286. (٢٣)

S. Giedion, Op. Cit, 442. (٢٤)

(٢٥) هذا النوع من التماثيل استمر فى شرق أوربا فى العصر الحجري الحديث:
See, M. Gimbatas, The Language of The Goddess, London, 1989, 322.

وهذه المجموعة من التماثيل تتصف فى التأكيد على بعض مواضع الخصوبة كما إمتلاء البطن وبروز العجز وإهمال تمثيل الرأس وملامح الوجه والأطراف^(١)، كما هو الحال فى تمثال الواحات البحرية، وقد رأى "نوبمان" فى هذا رمزاً لإناء أنثوى ممثلى مستدير يمثل الطراز العتيق للأم الكبرى^(٢).

وتتفق هذه التماثيل التجريدية للإلهة الأم فى أوربا فى العصر الحجري القديم الأعلى مع تمثال الواحات البحرية، بالعثور على نماذج منها فى مأوى صخرية بغرب أوربا^(٣). وهذه التماثيل تدعم من جهة تأريخ هذا التمثال بالعصر الحجري القديم الأعلى، وتؤكد من جهة أخرى على تقارب وسائل التفكير الإنسان البدائي القديم وتشابه الأغراض التى يستخدم أدواته فيها ومن أجلها.

رابعاً: الغرض من التمثال

أن المصريين القدماء قد اتجه اهتمامهم منذ العصر الحجري القديم الأعلى إلى الإيمان بالبعث والخلود، الذى لم تتضح فى آيات حب الخلود بمثل هذا البيان وبمثل هذه القوة البالغة المؤثرة فى أى بلداً آخر مثلما هو الحال فى مصر^(٤)، وقد ترسخ هذا الإيمان لديهم فى عديد من العوامل التى تجرى حولهم، حيث لاحظوا دورة الحياة من مولد فموت ثم حياة مرة أخرى لبعض عناصر الطبيعة والكون المحيطة بهم كشروق الشمس من وراء جبال الصحراء وغروبها ثم شروقها مرة أخرى، وفيضان

(٢٦) أشرف زكريا، المرجع السابق، لوحة ٣ رقم ١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٧.

E. Neumann, Op. Cit, 96ff. (٢٧)

S. Giedion, Op. Cit, 453. (٢٨)

(٢٩) سونيرن، كهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكردي، مراجعة: أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٧٥،

النيل الذى يغمر الأرض ثم انحساره بعد أن يترك غرينه الذى أكسب الأرض خصوبة وحياة ثم فيضانه مرة أخرى، والنجوم التى تملأ ذلك الفضاء اللانهائى أثناء الليل ومن بينها - بطبيعة الحال - القمر الذى يتضاءل حجمه يوماً بعد يوم ثم لا يلبث أن يختفى ثم يعود إلى الظهور فيزداد حجمه حتى يكتمل^(١).

ويعد توسيد الموتى بشكل أو بآخر فى وضع منحنى (قرفصاء) منذ هذا العصر فى حفر بسيطة كما وجد فى الموقع (١١٧) بالنوبة وفى جبانة جبل الصحابة^(٢) أحد أهم مظاهر إهتمام المصريين منذ هذا العصر بموتاهم والإعتقاد فى البعث والخلود، والتى أكدوها بتلك الأدوات والأسلحة البدائية التى وضعت مع الموتى لإعتقادهم بضرورتها لهم وإستمرار الحياة بعد الموت، وتصور إنسان هذه الفترة أن له حياة بعد الموت مثل حياته الأولى على الأرض^(٣)، ويغلب على الظن أن المصريين فى هذه العصور البعيدة قد وجدوا أفضل تجسيد لنظام التكاثر - الخصوبة والبعث والتوالد والخلقه - فى تماثيل للإلهة الأم، وهو ما يتفق أغلب الظن مع دور المرأة وإسهامها فى بناء الحضارة الإنسانية، وهذا الدور دفع البعض إلى الاعتقاد بوجود عصر أمومى حكمته وإملاكته المرأة واقعاً وفكراً وعقيدة، وأن الإنتماء فى المجتمعات المبكرة للأم كان أسبق من الانتماء للأب

(٣٠) برستد، تطور الفكر والدين فى مصر القديمة، ترجمة: زكى سوس، القاهرة، ١٩٦١، ٨٥ وما بعدها؛ إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر وأنور شكرى، القاهرة، ١٩٩٧، ٥.

ولمزيد من التفاصيل عن الحياة بعد الموت عند قدماء المصريين:

See, W. B. Kristensen, Life out of Death. Louvain, 1992.

F. Wendorf "Late Palaeolithic Sites in Egyptian Nubia" in: (٣١)

F. Wendorf (ed). Prehistory of Nubia, Vol II, 1989, 954ff ؛

B. Midant-Reynes, Préhisteire de L, égypte, Paris, 1992, 41f.

J. Vandier, Manuel d'archaeologie égyptienne I, Paris, 1952, 178 ؛ (٣٢)

حيث حتمت طبيعة الأشياء قيام هذا النظام الذى يمثل أقدم أشكال المجتمع الإنسانى^(١) وإن ظل هذا الأمر مجرد أطروحة نظرية تفتقد إلى الدليل الأثرى القاطع^(٢). وربما كان وجود هذا العصر الأمومى إن إفترضنا وجوده أكثر وضوحاً فى هذه العصور البعيدة التى كان يذهب فيها الرجال لرحلات صيد طويلة وسيطرت الأم على حياة العائلة^(٣). حيث من المؤكد أن فكرة الأم الخصبة قد سيطرت على فكر الإنسان البدائى لدواعى نفسية وبيئية وبيولوجية^(٤)، وإرتبط بها دينياً بعد أن تطورت عقائد الدين والآخرة لديه.

عبد الحلیم نور الدین، آثار وحضارة مصر القديمة، القاهرة، ٢٠٠٣، ٥٧ وما بعدها.
(٣٣) أحمد أبو زيد، دراسات فى الإنسان والمجتمع والثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ٦٨٥ وما بعدها؛ شارلوت سيمور - سميث، موسوعة علم الإنسان، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، القاهرة، ١٩٩٨، ٦٩٠ وما بعدها.

(^١) L. Woolly and J. Hawkes, op. cit., 207ff ؛ H. Movies, Three Reigoins of primitive Art, New York, 1961, 39f ؛ G. Preston, "Goddess Worship" in: Encyclopedia of Religion, Vol. V, 1987, 36؛ M. Eherenberg, Woman in Prehistory, London, 1989, 64.

(٣٤) عن تواتر النسب فى مصر القديمة عن الأم والاهتمام بذكرها ثم الوراثة عنها أو بوساطتها:
See: Pierne, Histoire des Instittutions et du Driot Prive de Ancienne Egypte, Bruxelles, 1935, t. III, 382f.

L. Woolly and J. Hawkes, op. cit., 207ff ؛ H. Movies, Three = (٣٥)
= Reigoins of Primitive Art, New York, 1961, 39f ؛ G. Preston, "Goddess Worship" in: Encyclopedia of Religion, Vol. V, 1987, 36 ؛ M. Eherenberg, Woman in Prehistory, London, 1989, 64.

I bid., 74. ؛ E. Neumann, Op. Cit, 94. (٣٦)

الخاتمة

تكمن أهمية هذا التمثال الذى عثر عليه فى مأوى صخرى بجبل الكريستال بالصحراء البيضاء جنوب الواحات البحرية، وبعد القرائن التى ترجح أنه من العصر الحجري القديم الأعلى، على أن تشكيل تماثيل بدائية للإلهة الأم يضرب بجذوره فى مصر القديمة إلى هذا العصر، بعد أن كان الإعتقاد السائد لدى العلماء بأن أقدم نموذج معروف حتى الآن من تماثيل الإلهة الأم فى مصر يرجع إلى عصر مرمدة بنى سلامة^(١).

وتكمن أهمية هذا التمثال أيضاً فى تغيير ما إعتقده العلماء بأن حضارات الشرق الأدنى القديم قد سبقت معرفتهم بتشكيل نماذج بدائية من تماثيل الإلهة الأم فى الفترة ما بين (٨٠٠٠ : ٦٠٠٠ ق.م) للحضارة

(٣٧) J. Eiwanger, "Zweiter Vorbericht über die Wiederaufnahme der Grabungen in der
in: MDAIK 35, 1979, 53, Abb. 16 ؛ Neolithischen Siedlung Merimda - Benisalāme",

المصرية^(١)، حيث أعطى هذا التمثال أفضلية السبق فى تشكيل نماذج بدائية من تماثيل الإلهة الأم للحضارة المصرية على حضارات الشرق الأدنى القديم وليس العكس.

ويرجح الباحث إمكانية العثور على نماذج أخرى من تماثيل الإلهة الأم بمصر فى الفترة الطويلة الممتدة ما بين العصر الحجري القديم الأعلى وبين العصر الحجري الحديث، لأننا على يقين بأن المصريين القدماء كانوا كما ذكر "هردوت" أكثر تقوى عن سائر البشر^(٢) والذين آمنوا بالبعث والحياة الثانية منذ العصر الحجري القديم الأعلى، وأكدوا على ذلك بالعديد من الأدوات التى وجدت مع موتاهم فى هذه العصور البعيدة، فمن غير شك فإن الإلهة الأم التى آمنوا بجدواها فيما يتعلق بالتكاثر والخصوبة والتوالد والخلقة، يمكن العثور مستقبلاً على نماذج من تماثيلها فى تلك المناطق التى آوى إليها أهل هذه العصور البعيدة وبخاصة فى الصحراء الغربية، وإن كان فرص العثور على هذه النماذج تبدو قليلة وأحياناً شبه منعدمة، لهبوب الرياح

- M. Saleh – H. Sourouzian, The Egypt Museum Cairo, Berlin, 1988, PL., I؛ Ahmed Saied, Götterglauben und Göttheiten in der Vorgeschichte und Frühzeit Ägypten, Cairo, 1997, 260, Taf. 183, Abb.1.

J. Mellaart, The Neolithic of the Near East, London, 1975, Table 1, z: (٣٨)

ولمزيد من التفاصيل: انظر: أشرف زكريا المرجع السابق، ٣٢ وما بعدها.

وعن إرتباط الإلهة الأم فى العراق وإيران بالخصوبة والزرع، وإرتباطها فى الأناضول بزيادة الإنجاب والخصوبة.

= انظر: أحمد سعيد، "عقائد الدفن وعبادة الأسلاف فيما قبل التاريخ فى الشرق الأدنى القديم"، مقال فى: دراسات فى آثار الوطن العربى، كتاب الملتقى الثالث لجمعية الأثريين العرب، الندوة العلمية الثانية، ج١، القاهرة، ٢٠٠٠، ٤٢.

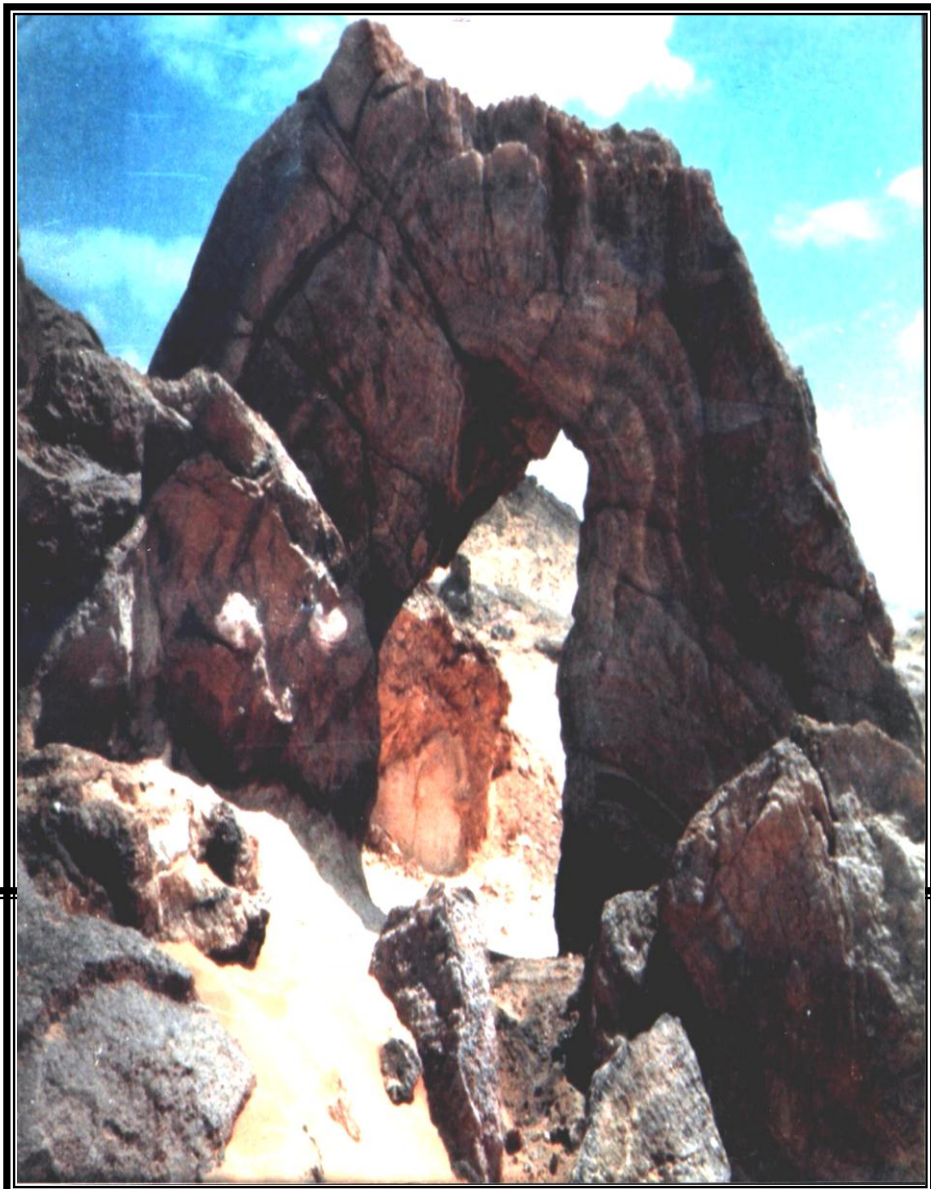
(٣٩) هردوت يتحدث عن مصر، ترجم الأحاديث عن الإغريقية: محمد صقر خفاجه، قدم لها وتولى شرحها: أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٨٧، الفصل ٣٧.

خريطة للواحات البحرية

عن: (محمد صبرى محسوب، جغرافية مصر الطبيعية [الجوانب الجيومورفولوجية]،

ط١، القاهرة، ١٩٨٨، ٢١٣ شكل ٨٢)

اللوحة الثانية



تمثال غير منشور من "الشرت" لإلهة الأمومة من الواحات أ.د. رضا محمد سيد أحمد

المأوى الصخري بجبل الكريستال بالصحراء البيضاء

- جنوب الواحات البحرية

اللوحة الثالثة



أدوات من الظران والشرت من العصر الحجري القديم الأعلى عثر عليها بمأوى
صخرى بجبل الكريستال بالصحراء البيضاء - جنوب الواحات البحرية

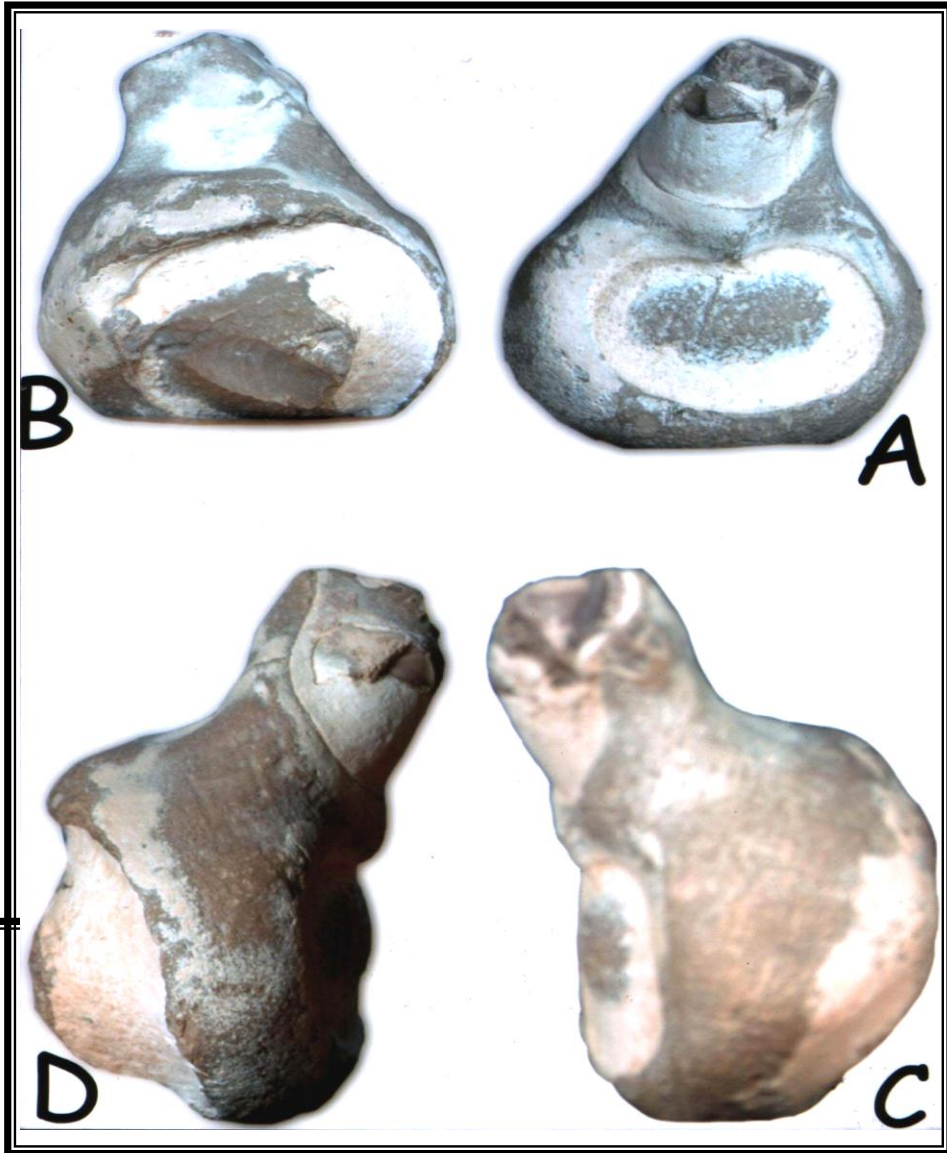
اللوحة الرابعة



تمثال غير منشور من "الشرت" لإلهة الأمومة من الواحات أ.د. رضا محمد سيد أحمد

صورة مكبرة: لتمثال إلهة الأمومة من الشرت، من مأوى صخرى
بجبل الكريستال بالصحراء البيضاء - جنوب الواحات البحرية

اللوحة الخامسة



التمثال من:

A: من الأمام.

B: من الخلف.

C: من الجانب الأيسر.

D: من الجانب الأيمن.